مع «العهد الجديد»

«سيعرفونني جميعاً، ولا يعود يعلّم الواحد أخاه...»

أ. أيّوب شهوان

شكل كلام إرميا النبي على «العهد الجديد» نوعاً من الثورة الجريئة جداً في زمانه

(إرميا النبي: فسيفساء من القرن السادس، في كنيسة القديس ڤِتالي، رافِنّا، إيطاليا)

مقدمة

في مجمل الكتاب المقدس، يشكل موضوع «العهد الجديد» (nouvelle alliance)[1] عنصراً مكوّناً في حياة المؤمن وفي حياة شعب الله، قبل المسيح وبعده. وبما أن الموضوع سيُطرَح من عدة وجوه في هذا العدد من مجلة بيبليا، فإننا سنعالج مباشرة مسألة جوهرية في العهد، ألا وهي معرفة الله، منطلقين من نبوءة إر ٣١:٣١-٣٤، التي سنتبيّن كم أثرت في نصوص لاحقة، خاصة في كتابات بولس، ويوحنا، والرسالة إلى العبرانيين، وغيرها. فلقد كان لكلام إرميا، رجل الله بامتياز، صدى مدوٍّ، وإن لم يُفْهَم في حينه، بسبب الجهل وغياب «معرفة

١- بما أنّ كلمة «عهد» في العربيّة تعني، من جهة أولى، ما بَتَّه الله مع شعبه قبل المسيح، وجدّده وأبرمه مع المؤمنين بابنه يسوع، ومن جهة ثانية، مجموعَ أسفار الكتاب المقدّس المسيحيّة، فإنّنا، وتلافياً للالتباس، سنعمد إلى إدراج الترجمة الفرنسيّة للتسميتين في كل مرّة ترِد إحداهما في سياق موضوعنا.

الرب» من العقول والقلوب. يقول النبي في ٣١:٣٤: «ولا يعلّم بعدُ كلُّ واحدٍ قريبَه وكلُّ واحدٍ أخاه قائلاً: "إعرفِ الرَّبَّ"، لأنَّ جميعَهم سيعرفونني، من صغيرهم إلى كبيرهم...». لن تعود هناك حاجة إذاً إلى أن يعلم الواحدُ الآخَر، عندما تعمّ معرفةُ الله الجميعَ. فكيف فهمَ هذا الكلامَ الكتّابُ الملهمون الذين أتوا من بعد إرميا، واستوحوا نبوءته؟

١) ١ تس: مع العهد لا حاجة للتعليم!

في أقدمَ نصّ في العهد الجديد، أي الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين، التي كُتِبت حوالي السنة ٥٠ تقريباً، لا نجد كلمة «عهد» (διαθηκη)، ولا عبارة «عهد جديد» (διαθηκη καινη)؛ لكنّ غياب الكلمة لا يعني غياب الموضوع الذي نحن بصدده. في الواقع، في كلام بولس إلى التسالونيكيّين، يمكننا أن نتبيّن تلميحاتٍ واضحةً إلى حالة «عهد جديد» (nouvelle alliance)؛ فإلى هؤلاء المعتنقين حديثاً الإيمان بالمسيح يكتب الرسول ما يلي:

«في ما يتعلّق بالمحبّة الأخويّة، لستم بحاجة إلى أن أكتب إليكم؛ فأنتم ذاتكم في الواقع معلَّمين من الله أن تحبّوا بعضكم بعضا» (١ تس ٤:٩)[٢].

يوحي إعلان بولس – «لستم بحاجة إلى أن أكتب إليكم عن ذلك» – بالجزء السلبي من كلام إر ٣١:٣٤ حول عدم ضرورة التعليم مع «العهد الجديد» (nouvelle alliance). يعادل التفسير المُعطى بعد ذلك – «أنتم ذاتكم تعلّمتم من الله» – الجزءَ الإيجابيَ من الجملة، لكن المُعبّر عنها بكلمات أش ٥٤:١٣: «وجميع بنيك يكونون تلامذةَ الرب»[٣]. في الجملة السابقة تكلّم بولس على عطيّة الروح القدس بكلمات تذكّر بنبوءة حزقيّال: «هو اللّه مَن يعطيكم روحه القدّوس» (١ تس ٤:٨؛ رج حز ٣٦:٢٧؛ ٣٧:١٤). نستنتج إذاً أنّه، في جملتين متتاليتين، يلمّح بولس إلى ثلاثة نصوص نبويّة متقاربة في ما بينها، تدور حول موضوع العلاقة مع الله في العهد الجديد (nouvelle alliance)، ويؤكّد على تفعيلها الحقيقي في الجماعة المسيحيّة المؤسّسة حديثاً.

قد يكون ممكناً في هذا المجال الاعتراض التالي: ليس المقصود عند بولس هنا «معرفة الرب»، كما في إر ٣١:٣٤، بل محبّة الإخوة، وبالتالي فالمقصود هو علاقة بين أناس بدلاً من علاقة مع اللّه، كما في العهد. لكن في منظار العهد الجديد (NT) لا قيمة لهذا الاعتراض، لأنّ «الوصيّة الثانية تشبه الأولى» (مت ٢٢:٣٩)، ومن ثمّ، فالحبّ الأخوي يُعرَّف به أنّه «معرفة اللّه»:

«لنُحبّ بعضنا بعضاً، لأنّ المحبّة من اللّه؛ من يحبّ فهو مولود من اللّه ويعرف اللّه» (١ يو ٤:٧).

هناك تلميح آخر إلى الجزء السلبي من إر ٣١:٣٤، يمكن تبيّنه في ١ تس ٥:١:

«في ما يتعلّق بأوقات وبأزمنة ("مجيء الرب"، رج ٤:١٥)، لا حاجة لكم أن أكتب عنها؛ فأنتم ذاتكم في الواقع تعرفون جيّداً...».

التعبير مشابه لِمَا في ١ تس ٤:٩، وهو لا يُطَبَّقُ بَعدُ على المحبّة الأخويّة، بل على نقطة عقائديّة تتعلّق «بالمجيء». العلاقة مع إرميا في كلّ الأحوال فيها معضلة، إذ لا يُقال هنا بأنّ التّعليم هو من اللّه، بل التفسير هو بالأحرى أنّ التعليم قد أعطاه بولس إبّان التبشير بالإنجيل في تسالونيكي. فالوضع إذاً مختلف.

٢) متّى: «معلمكم واحد»

النص الأوّل الذي نتفحّصه هو التعليم الذي يعطيه يسوع في مت ٢٣:٨–١٠:

«أمّا أنتم فلا تدعوا أحداً يدعوكم "رابي"، لأنّ لكم معلّماً (معلّمكم) واحداً، وأنتم جميعاً إخوة».

ينتقد يسوع موقف الكتبة والفرّيسيّين الذين يهوون أن يدعوهم الناس «رابي»، وينبذ هذا النوع من العلاقة بين تلاميذه. تتكلّم الجملة التالية على العلاقة مع الله الذي هو الآب الوحيد (مت ٢٣:٩). الجملة الثالثة، التي تشبه كثيراً الأولى، تتكلّم بالمقابل على العلاقة مع المسيح:

٢– راجع في هذا المجال: T. J. Deidun, *New Covenant Morality in Paul* (Analecta biblica 89; Roma 1981) 19-21

٣– يستعمل بولس كلمة θεοδιδακτοι – «تعلّمتم من الله»، وهي فريدة البيبليا؛ أمّا أشعيا فلديه عبارة διδακτους Θεου – «تلامذة الله» (أش ٥٤:١٣).

«ولا تدعوا أحداً يدعوكم مرشداً، لأنّ لكم مرشداً واحداً وهو المسيح» (مت ٢٣:١٠).

يتبيّن لنا من نصوص إنجيليّة أخرى أنّ المعلّم الوحيد، في كل الأحوال، هو في آن معاً اللّه والمسيح، أي اللّه في المسيح، أو بالأحرى المسيح باسم اللّه.

في مت ١١:٢٥-٢٧، يمكننا أن نلاحظ وجود موازاة ذات مدلول بين الوحي المحفوظ من الآب للصغار، وبين الوحي الذي يتمّ على يد الابن:

«ما من أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومن شاء الابن أن يكشفه له».

لا يعبّر نص مت ٢٣ عن نبذٍ أقلّ قوّة ممّا عند إر ٣١:٣٤، لا بل هو أقوى أيضاً من هذا الأخير؛ فإرميا يعطي فقط إعلاناً وليس أمراً. بالمقابل، يعبّر يسوع عن مَنعٍ: «لا تدعوا أحداً يدعوكم رابي»؛ فبين تلاميذ المسيح لا ينبغي لأحد أن يطمع في مركز معلّم أو مرشد؛ كلّهم إخوة، لأنّهم جميعاً تلاميذ المعلّم الأوحد. بالمقابل، يقبل يسوع سلطة الفرّيسيّين والكتبة: «إفعلوا ما يقولون لكم واحفظوه». لا يحرّم يسوع التعليم، بل البحث عن الكرامات. بعيداً عن إلغاء كلّ تعليم، ينتهي إنجيل متّى بالأمر العلني الذي أعطاه يسوع القائم من الموت لتلاميذه الأحد عشر، بأن يتلمذوا كلّ الأمم «معلّمين» إيّاهم كلّ ما كان يسوع قد أوصاهم به (مت ٢٨:١٩-٢٠). نتيجة لذلك، يشدّد كتاب أعمال الرسل على مواظبة المسيحيّين الأوائل على سماع «تعليم الرسل» (أع ٢:٤٢)، وعلى القيام بالوعظ والتعليم. يؤكّد بولس، من جهته، على أنّ اللّه أقام في الكنيسة ليس فقط رسلاً وأنبياء، بل أيضاً «معلّمين» (١ كور ١٢:٢٨).

من غير الممكن إذاً تفسير نص مت ٢٣ بمعنى إلغاء كلّ تعليم ديني. على العكس من ذلك، يحتفظ هذا المقطع بأهميّة أساسيّة لتحديد العلاقات في الكنيسة في ما يتعلّق بالتعليم. ففي العهد الجديد (nouvelle alliance)، التلميذ هو كالمعلّم، في علاقة شخصيّة مباشرة مع اللّه في المسيح. العلاقة مع اللّه لا يُعطيها المعلّم البشري، بل اللّه. فبواسطة الفضائل اللاّهوتيّة كلّ مؤمن «يعرف» اللّه بطريقة شخصيّة وعميقة. على هذا المستوى لا مكان لمعلّم بشري. تتفعّل نبوءة إرميا هكذا بالتمام. حتّى «الأصغر» بين المسيحيّين يصبح قادراً على أن يجاري أكبر «العلماء»، لا بل على هؤلاء أن يتذكّروا كلمة يسوع التي تقلب العلاقات المألوفة: «أبارك، أيّها الآب ربّ السموات والأرض، لأنّك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وكشفتها للصغار» (مت ١١:٢٥)، الذين يمتلكون بواسطة الإيمان «معرفة» اللّه دون وسيط.

٣) روم ١٥:١٤: «إنكم ممتلئون من كلّ معرفة»

يعطينا بولس المثل في ما يتعلّق بالموقف الصحيح. فهو، رغم كونه رسول الأمم، لم يكن يأخذ موقفاً تفوّقيّاً من حيث الإيمان، بل أخويّاً ومتطابقاً مع مت ٢٣: ٨-١٠. أعظم رسائل بولس، أي تلك التي إلى الرومانيّين، تُستَهلّ بالتّعبير عن رغبة أخويّة ألا وهي:

«لنتشدّد معاً عندكم بالإيمان المشترك بيني وبينكم» (روم ١:١٢).

وفي الختام يعتذر الرسول قائلاً:

«لأنّي كتبت إليكم في بعض ما كتبت بشيء من الجرأة» (روم ١٥:١٥).

ثم يوضح بأنّه مقتنع بأن المسيحيّين الرومانيّين هم «ممتلئون من كلّ معرفة»، وكأنّ نيّتة كانت فقط «تنبيه ذاكرتهم» (١٥:١٥) إلى ما هم عليه.

٤) ٢ كور ١:٢٤: «لا تَحَكُّمَ في الإيمان»

في ٢ كور، وهي الرسالة التي فيها يوجّه بولس توبيخات شديدة إلى الكورنثيّين، يشدّد الرسول بوضوح على أنّهم أسياد أنفسهم في الإيمان: «نحن لا نريد التحكّم في إيمانكم؛ على العكس من ذلك، نحن شركاء في فرحكم، لأنّكم في الإيمان ثابتون» (٢ كور ١:٢٤).

٥) ١ يو ٢:٢٧: «لستم بحاجة أن يعلّمكم أحد»

هناك إعلان في رسالة يوحنّا الأولى يتطابق مع نبوءة إرميا، يتمّ فيها استعمال ذات العبارة التي في ١ تس ٤:٩، ألا وهي: «لستم بحاجة» (١ يو ٢:٢٧). يكتب يوحنا:

«وأنتم، فإنّ المسحة التي تلقيتموها منه مقيمة فيكم، ولستم بحاجة إلى أن يعلّمكم أحد (رج إر ٣١:٣٤)؛ ولمّا

كانت مسحته تعلّمكم كلّ شيء، وهي حقّ لا باطل، فاثبتوا أنتم فيه، كما علّمتكم» (١ يو ٢:٢٧).

يؤكّد هذا النص على تتميم إر ٣١:٣٤ في الجماعة المسيحيّة، ويحدّد طريقة هذا التتميم. هناك قبل ذلك جملة أخرى تعبّر عن الناحية الإيجابيّة في إر، حيث يكتب يوحنا:

«أمّا أنتم فقد قبلتم المسحة من القدّوس، ولكم جميعاً "المعرفة"» (١ يو ٢:٢٠).

تشير «المسحة» هنا إلى كلمة اللّه التي بُلّغت بالمسيح، والتي تَلِجُ أعماق المؤمن تحت عمل الروح.

أيضاً ١ يو ٢:١٣-١٤ يشدّد على المعرفة المعطاة «للآباء» و«للأطفال» (رج إر ٣١:٣٤، «من الصغير إلى الكبير»)، معرفة «مَن هو منذ البدء»، أي معرفة «الآب».

هامّة هي المقابلة بين ١ يو ٢:٢١ وبين إر ٣١:٣٤، حيث يقلب يوحنّا النظرة؛ ففي حين يقول إرميا: «لا يتعلّمون من بعد ...، لأنّهم سيعرفونني...»، يعلن يوحنا: «أنا ما كتبت إليكم، لأنكم لا تعرفون الحق، بل لأنكم تعرفونه...». يبدو هذا متناقضاً، لكنّه يعبّر عن ناحية أعمق من العهد الجديد (nouvelle alliance). فالمعرفة التي يقتبلها المرء من اللّه، تجعل الشراكة العميقة بين الأشخاص ممكنة. عن ذات المنحى يقول بولس: «إنّي لواثق، يا إخوتي، أنا نفسي من نحوكم، أنّكم أنتم أيضاً طافحون صلاحاً، ممتلئون من كلّ معرفة، قادرون أن تنصحوا بعضكم بعضا» (روم ١٥:١٤).

٦) يو ٦:٤٥: «واللّه يعلّمهم جميعاً»

في كتب العهد الجديد، لا استشهاد بالجزء السلبي من نبوءة إرميا، باستثناء عب ٨:١١. بالمقابل، يتمّ الاستشهاد صراحةً بنبوءة أش ٥٤:١٣ الإيجابيّة في يو ٦:٤٥، في خطبة يسوع حول خبز الحياة: «جاء في كتب الأنبياء: واللّه يعلّمهم جميعا». يعلن يسوع أنّ مفعول تعليم اللّه هذا هو حَمْلُ الناس على الإيمان به. من هذا المنظار، يمثّل أش ٥٤:١٣ مرحلة أولى فقط، وهي تلك التي تُعِدُّ عطيّةَ معرفة اللّه الحقيقيّة بواسطة يسوع (يو ٦:٤٦؛ ١٧:١-٣).

٧) ١ يو ٥:٢: في «معرفة الحق» قيام العهد

في ١ يو هناك مقطع آخر أكثر أهميّة، لأنّه على علاقة مع الجزء الإيجابي من نبوءة إرميا، ويكمّلها من وجهة نظر مسيحيّة. يكتب يوحنّا:

«ونعلم أنّ ابن اللّه أتى فأعطانا فكراً لنعرف الحقّ (أي "اللّه")» (٥:٢٠).

تؤكّد هذه الآية على تتميم وعد إرميا: «سيعرفونني» (إر ٣١:٣٣)، وتلمح إلى الجملة الأخرى من إر ٢٤:٧ حيث يَعِدُ اللّهُ قائلاً: «أعطيهم قلباً ليعرفونني». يوضح يوحنّا أنّ وعد اللّه قد تمّ تفعيله «بابن اللّه» الذي حلّ بيننا. تعبّر نهايةُ الجملة، على الطريقة اليوحناويّة، عن تحقيق العهد قائلة: «إنّنا في الحق، كوننا في ابنه يسوع المسيح» (١ يو ٥:٢٠). في الواقع، بالنسبة إلى يوحنّا، لا يقوم العهد فقط بأن يكون الواحد مع الآخر، بل الواحد في الآخر.

٨) عب: في العهد الجديد العلاقة شخصية مع الله

في عب ٥:١٢ نجد عبارة بولس ويوحنا – «لستم بحاجة»، مع عودة إلى النفي: «عُدتُم بحاجة إلى مَن يعلّمكم...»، لكن المضمون لا يختلف عمّا عند بولس ويوحنا. في الواقع، تعبّر الجملة الأخيرة عن توبيخ، وتبيّن أنّ الوضع غير طبيعي. على المسيحيين، لمجرّد كونهم مسيحيين، أن يصبحوا هم أيضاً «معلّمين». إن طريقة تَكَلُّم الكاتب لا تعني أنه يأخذ موقفاً متعالياً، بل موقف أخوّةٍ، يتجلى خاصة عبر الاستعمال المتواتر لصيغة المتكلم الجمع في حثّه؛ أنظر مثلاً: عب ٢:١: «يجب أن نعكف، وبالتزام أكبر، على ما سمعنا...»؛ هذا الكلام هو كلام تلميذ، وليس معلّم. في ٣:١٤ يكتب: «فقد صرنا شركاء المسيح، إن تمسكنا ثابتين إلى النهاية بالثقة التي بدأناها...» (رج ٤:١١ و١٤ و١٦؛ ٦:١٨-٢٠؛ ١٠:٢٢ و٢٦ و٣٩؛ ١٢:١ و٩ و٢٨؛ ١٣:٦ و١٣-١٥).

من ناحية ثانية، يشجع الكاتبُ المؤمنين على ممارسة التضامن الأخوي بطريقة مماثلة:

«شجعوا بعضكم بعضاً يوماً فيوما» (٣:١٣). ويضيف: «ولنتنبّه بعضُنا لبعضٍ، تنشيطاً لنا على المحبة والأعمال الطيبة» (١٠:٢٤).

لا يُبرز الكاتب العلاقة مع الله بطريقة فرداوية، بل كمناسبة لعلاقات متبادلة. على الجماعة كلها أن تعتني بعلاقة كلٍّ واحدٍ بالله: «إحذروا، أيها الإخوة، أن يكون في أحدكم قلبٌ شرير كافر، فيرتدّ عن الله الحي...» (٣:١٢؛ رج ٤:١ و١١؛ ١٢:١٢ و١٥-١٦). في العهد الجديد (nouvelle alliance)، لكل إنسان علاقة شخصية مع الله، فلا يعود الشخص مرهوناً بالآخرين كما في السابق، لكن هذا لا يعني غياب العلاقات بين المؤمنين، ولا حتّى غياب السلطة في الكنيسة. فللجماعة مدبروها، وهم مسؤولون عن الأنفس أمام الله، وينبغي بالتالي أن يُطاعوا (١٣:١٧).

من أجل التعبير عن العلاقة الجديدة مع الله، لا يلجأ الكاتب إلى مفردات إر ٣١، بل يفضل أن يستوحي المفردات الليتورجية الأكثر ديناميكية؛ فبدلاً من أن يتكلم على «معرفة الله»، هو يتكلم على «الاقتراب من الله» (٧:١٨؛ رج ٤:١٦؛ ٧:٢٥؛ ١٠:٢٢) بـ«جرأة» (٣:٦؛ ٤:١٦؛ ١٠:١٩ و٣٥)، أي «قول كل شيء» بحرية في الكلام، ودون عوائق في العلاقات. بالتالي، إن وضع المسيحيين في ما يتعلق بالله هو وضع «جرأة»، ولديهم جميعاً ملء الحرية في أن «يقتربوا منه». هذا يناسب نبوءة العهد الجديد (nouvelle alliance): «سيعرفونني جميعهم، من الأصغر وحتى الأكبر».

خاتمة

قال الرب يسوع: «هاأنذا واقف على الباب أقرع؛ إذا سمع أحد صوتي، وفتح لي الباب، آتي إليه، وأتعشى معه وهو معي» (رؤ ٣:٢٠).

هكذا يتحول اللقاء والإقامة والوليمة إلى أجمل تعبير عن «العهد»، وعن «المعرفة» التي تواكب هذا الأخير وتشكل نتيجة له، كما بالتالي عن صلاة «القلب»، وهذا ما يتناسب جيداً مع العهد الجديد (nouvelle alliance): إنه الوقت الذي فيه الله «يكتب على القلوب»، كما وعد على لسان إرميا النبي، «ولن يكون من بعد حاجة لأن يعلّم الواحد الآخر».

راجع:

شهوان أيوب، «الوعد والعهد والخلاص بالمسيح يسوع»، في: **بولس ورسائله** (محاضرات المؤتمر الكتابي السابع، دير سيدة البير، ٢١-٢٦/١/٢٠٠١؛ دراسات بيبلية ٢٣؛ المطبعة البولسية: لبنان ٢٠٠١) ٤٧٦-٥٠٠.

الفغالي بولس، **رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنتس** (كلام الله ١؛ منشورات الرسل: لبنان ١٩٩٣).

BUIS P., *La notion d'alliance dans l'Ancien Testament* (Lectio Divina 88; Cerf: Paris 1976).

DE SURGY P., "Le ministère apostolique de la nouvelle alliance (2 Co 3)", *AssSeig*, 39 (1972) 36-43.

DEIDUN T. J., *New Covenant Morality in Paul* (Analecta biblica 89; Roma 1981) 19-21.

FREEDMAN D. N., *The Anchor Bible Dictionary* (Dobleday: NY 1992) 1179-1202.

FÜGLISTER, "La nouvelle alliance (Jr 31)", *AssSeig*, 18 (1971) 28-35.

JAUBERT A., *La notion de l'alliance dans le judaïsme aux abords de l'ère chrétienne* (Seuil: Paris 1963).

L'HOUR J., *La morale de l'alliance* (Gabalda: Paris 1966).

MCCARTHY P., *Treaty and Covenant* (Roma 1978).